خطبة عن الخوف والرجاء





أ. عبدالعزيز بن أحمد الغامدي

مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 23/4/2016 ميلادي - 15/7/1437 هجري

الزيارات: 44227

خطبة عن الخوف والرجاء

الخطبة الأولى

عباد الله، نجد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الحثَّ على فعل الطاعات وبيانَ ثوابِها وثمراتِها لنُكثر منها، كما نجد النهيَ عن المعاصي وبيانَ عقابِها وآثارِها الضارة لنحذرَ منها ونجتنبَها، كما نجد وصفَ الجنة وما فيها من النعيم والفوزِ المقيم لنعمل لها، ونجد وصفَ النار وما فيها من العذاب الأليم والهوانِ المقيم لنحذر من الأعمال الموصلة إليها، وهكذا كثيرًا ما نجد آياتِ الوعد إلى جانب آيات الوعيد، ونجد ذكرَ الجنة إلى جانب ذكرِ النار، ليكون العبد دائمًا بين الخوف والرجاء. لا يأمنُ من عذاب الله ولا ييأسُ من رحمة الله، وقد وصف الله أنبياءه وخواصَ أوليائِه أنهم يدعون ربهم خوفًا وطمعًا؛ رغبًا ورهبًا؛ يرجون رحمته ويخافون عذابه، وقد أمر الله العباد أن يخافُوه ويرهبُوه ويخشَوه في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: 175]. وقال تعالى: ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: 51]. وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: 44]. وقال تعالى في معرض الثناء على أهل الإيمان من المحافظين على الصلاة: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴾ [المعارج: 27، 28].

إخوة الإيمان؛ إن الخوف المحمود الصادق هو الذي يَحُول بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل، وإن الرجاء المحمود الصادق هو الثقة بجود الرب سبحانه وفضله وكرمه للعاملين بطاعته، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: 110]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: 218]. وفي الحديث: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه)) رواه مسلم.

فالرجاءُ - عباد الله - لا يصح إلا مع العمل، قال أهل العلم: الرجاء ثلاثة أنواع:

الأول: رجاءُ رجل عمل بطاعة الله؛ على نور من الله؛ فهذا رجاءٌ صادق لثواب الله الكريم.

والثاني: رجاءُ رجل أذنب ذنبًا ثم تاب منه، فهذا رجاءٌ صادق في مغفرة الغفور الرحيم.

والثالث: رجاء رجل متمادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا غرورٌ ورجاءٌ كاذب.

والواجب على العبد مادام على قيد الحياة أن يكون متعادلاً بين الخوف والرجاء، فالخوف والرجاء يجب أن يكونا متلازمين؛ إذ الخوف بلا رجاء يأس وقنوط، والرجاء بلا خوف أمنٍ من مكر الله. فلا يغلِّب العبدُ جانبَ الرجاء؛ لئلا يفضي به ذلك إلى الأمن من مكر اللـه؛ فيكونَ من الذين قال الله فيهم: ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأعراف: 99]. ولا يغلِّب العبدُ جانبَ الخوف؛ لئلا يفضي به إلى اليأس من رحمة الله؛ فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: 56]. ومن الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: 87]. يقول ابن القيم رحمه الله: (القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر؛ فالمحبة رأسه؛

والخوف والرجاء جناحاه؛ فمتى سَلِمَ الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر).

إخوة الإيمان، لقد وصف الله جل وعلا أنبياءه والصالحين من عباده أنهم يجمعون بين الخوف والرجاء فقال تعالى فيهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: 90]. وقال أيضًا: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الإسراء: 57]. وابتغاء الوسيلة إلى الله معناه: طلب القرب من الله بالعبودية له، فذكر الله أنهم تحلوا بمقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه وهي: الحب والخوف والرجاء، فإن من أحب الله تقرب إليه، ومن رجاه أطاعه، ومن خافه ترك معصيته، وبذلك يكون قد اتخذ الأسبابَ الجالبة للثواب والمنجية من العقاب.

وأهل العلم والمعرفة بالله هم الذين يعملون بطاعة الله ويتركون معصيته؛ رجاء ثوابه الجزيل وخوفَ عقابه الأليم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: 57، 61]

روى الإمام أحمد والترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله قول الله: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ [المؤمنون: 60] أهو الذي يزني ويشرب الخمر ويسرق؟ قال: ((لا يا ابنة الصديق، ولكنه الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يُقبل منه))، قال التابعي الجليل الحسن البصري رحمه الله: (عَمِلوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها؛ وخافوا أن تُرد عليهم، إن المؤمنَ جمع إحسانًا وخشية، والمنافقُ جمع إساءةً وأمنًا)، وهذا يا عباد الله أعني الجمع بين الإساءة والأمن حالُ بعض الناس اليوم؛ فرَّطوا في الفرائض والطاعات؛ وانغمسوا في المعاصي؛ واتبعوا الشهوات، ونسوا عقاب الله، ولقد حذر الله مَن هذا شأنُه مِن العقوبة وأَخْذِهم على غِرَّةٍ منهم؛ وفي حال مأمنهم؛ قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [النحل: 45 - 47].

إخوة الإسلام، إن خوف الله تعالى هو طريق المغفرة والأجر الكبير؛ لأنه يمنع الإنسان من المعاصي؛ حتى لو تمكن منها وكان بعيدا عن أعين الناس، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الملك: 12]. وخوف الله تعالى مع كونه يحبس عن الزلل؛ فهو الذي يحمل العاصي على المبادرة بالتوبة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: 201] فاتقوا الله - عباد الله - واعملوا بطاعته واتركوا معصيته؛ راجين ثوابه؛ خائفين من عقابه؛ وتذكروا: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى * فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النازعات: 34 - 40]. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم..

الخطبة الثانية

أما بعد: فإن بعض الناس قد يغتر بصحته أو بشبابه فيطلق لنفسه العِنان؛ فلا يُلزمُها بأداء فرائض الله، ولا يمنعها من المحرمات، ويؤجل التوبة من ذلك؛ إما اعتمادًا على سعة عفو الله، وإما استبطاءً للأجل وتمديدًا للأمل، وهذا من تغرير الشيطان للإنسان، ومن تسويل النفس الأمارة بالسوء، وإلا فإنه مع سعة عفو الله فإن عقابه شديد، كما قال سبحانه ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة: 98]، فكما أنه سبحانه رحيم بعباده، فإنه غيور على محارمه، وفي كثير من الآيات قرن سبحانه مغفرته بتوبة العبد من ذنوبه، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ [طه: 82]. وقرن مغفرته لذنوب التائبين بشدة عقابه للعصاة كما في قوله تعالى: ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ﴾ [غافر: 3].

وأما استبطاء الأجل وطول الأمل فإنهما من الغرور، فكم من عاص أخذه الله في ريعان شبابه ووافر صحته. وكم من صحيح الجسم مات من غير مرض، وكم من شخص فاجأه الموت في مأمنه وهو نائم على فراشه، أو راتع في شهواته، أو مستغرق في غفلاته. فالواجب المبادرة بالتوبة والعمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: 9 - 11]. انتهت.

اختصار ومراجعة: الأستاذ/ عبدالعزيز بن أحمد الغامدي

حقوق النشر محفوظة © 1445هـ / 2024م لموقع الألوكة
آخر تحديث للشبكة بتاريخ : 23/8/1445هـ - الساعة: 16:11